بسم الله الرحمن الرحيم

أيها المحبون لربهم تحركوا و أقبلوا ...

و يا أيها الظالمون لأنفسهم توقفوا و أدبروا ...

لقد أضحت بلادنا بعد أن كانت قلعة من قلاع الإسلام وكراً لمختلف أنواع الفساد المتنامي حيث عمَّ كل مناحي الحياة و توغل في أقدس المقدسات التي كانت ذات يوم حصناً حصيناً لا يتجرّأ أحد على اختراقه و أما اليوم فقد ظهرت ظاهرة غريبة ، و مصيبة عظيمة و خطب جلل يزداد و يتكاثر يوما بعد يوم ، فسادٌ لا يماثله فساد : " سب الله عز وجل " .

هذا الفعل المشين ظهر حديثا ، خاصة في الناحية الشرقية من بلادنا ، و عشش في كثير من أذهان و قلوب بعض الناس ، و أصبحت عادة في سلوك الناس اليومي إذ لا يكترث أحدهم من أي شيئ أو في عقيدته إن كانت له عقيدة في داخله و كيانه .

في بداية الأمر ، كنا نظن أن من يقترف هذا الفعل أنه بدافع القلق و الغضب لكن من الملاحظ أن هذا الفعل يلجأ إليه الشواذ حتى في سياق الحديث العادي ، حيث يجتمع عليه جماعة منهم يتسامرون و يتبادلون الحديث فلا يكاد حديثهم يخلو من هذا الفعل المخزي و المشين .

و إذا أردت أن تستغفر له و تطلب منه الكف و التوبة فإنه سيقابل بالإهانة و النعت بأبشع الصفات و ربما محاولة الضرب و التهم ...

إنها إذاً صورة بلا منازع من صور الإرهاب الممارس ضد المجتمع و مقوماته الروحية و عمقه الأخلاقي و الأدبي .

إنه رأس الفساد الذي يجعل جميع السلوكات و الأفعال المشينة ، و التي كانت مذكورة من قبل الجميع أمام هذا الفعل فإنها تصبح سلوكات و أفعال عادية لا ينفر منها إلا القليل فالمجتمع بهذه الصورة يسير إلى الذوبان الشديد الذي يشبه إلى حد ما : ذوبان الجليد في القطبين المتجمدين الشمالي و الجنوبي من الكرة الأرضية و هي الأخرى ظاهرة خطيرة تعصف بالكون برمَّته .

هذا الذوبان يشمل كل مقومات الأمة حيث تحول المجتمع إلى مجتمع مادي بامتياز لا مكانية فيه للأخلاق و احترام المقدسات ، فكل شي أصبح يهون أمام المادةِ ، و المادةُ فقط .

إن ظاهرة سب المقدسات و المقومات الروحية بدءا بالله ﷻ و رسوله الكريم ، و الصحابة الكرام ، و المصحف الشريف و كل الأنبياء و الرسل هو ضرب صور الإسلام و معالمه قاطبةً من أعلاها إلى أدناها .

إن التجرُّأَ على الله ﷻ بالسب هو الحد الذي لا يمكن لمؤمن في أي مكان أن يسكت عليه ، فهو ليس ككل المحرمات التي يستطيع المسلم أن يكون فردا سلبيا و يتعامل معها بأضعف الإيمان بدافع الجبن و تحاشي الصدام و الهروب من المواجهة باتباع سياسة النعام . فالمؤمن القوي خير و أحب إلى الله من المؤمن الضعيف .

كم نحن اليوم أحوج إلى المؤمن القوي الذي يذود عن الأمة بالداخل قبل الخارج . فالتحرك لنصرة سب رسول الله ﷺ و الإساءة إليه ما هي إلى صورة من صور ضعف الإيمان فالأجدر أن نصلح حالنا فيما بيننا لنرد على أعدائنا بقوة انسجامنا و تمسكنا بديننا ، لأن انحلالنا و انسلاخنا من مقوماتنا هو الذي جلب لنا السباب أولا ، و لمقدساتنا ثانيا ، أي أننا نحن مَن مكناً لأعدائنا من النيل من مقدساتنا .

أين هو إيماننا ؟ و ماذا يعني انتماءنا لهذا الدين ؟ ما دام الكثير منا لا يعنيه حال الأُمَّة و ما آلت إليه . فإذا كان سماع سب الله ﷻ لا يثير غضبنا و لا يحرك أدنى شعور الغيرة على انتهاك ذات إلهنا و قدسيتنا فما الذي يغضبنا إذاً ؟

فكلنا ملزمون بالتحرك و تحمل المسؤولية أفراداً و جماعاتٍ على كافة المستويات ، من أجل تأدية دور رئيس لاستئصال هذه الظاهرة .

لأنه من يتخلف عن ذلك يُعَدُّ شريكا في الجريمة ، فالسكوت عنها يعد قبولا ضمنيا لما آلت إليه أوضاعنا .

إن هذه الظاهرة الخطيرة يتوجب منا جميعا التصدي لها لكل حزم و قوة من أجل اجتثاثها من مجتمعنا بصورة نهائية .

فحالنا اليومَ يحتاج لآليات ملموسة تتدخل في إصلاح المجتمع و تأهيله و جره إلى بر الإيمان و إرشاده لسعادة الدنيا و الآخرة .

و لهذا فإننا نُنَاشِد كلَّ السُّــــلُطات للعمل من أجل تحريم هذا الفعل و وضع آليات تتناسب مع طبيعته من أجل تحقيق الردع بكافَّة صوره . و ذلك بإقامة حدّ الشرع في المسألة .

و إليكم بعض النقول عن أهل العلم المالكية في المسألة :

ــــ نقل ابن بطَّال عن ابن قاسم عن الإمام مالك رحمه الله قال :

" من سب الله قتل بغير استتابة " فتح الباري ج 12 ص 318 .

ــــ قال القاضي عياض المالكي رحمه الله :

" لا خلاف أنَّ سابَّ الله عز وجل من المسلمين كافر حلال الدم " الشفا 2 / 229

ــــ قال ابن أبي زيد القيرواني المالكي رحمه الله :

في رجل لعن رجلا و لعن الله و قال : إنما أردت أن ألعن الشيطان فزلَّ لساني .
فقال : " يُقتل بظاهر كفره و لا يُقبل عذره "

تبصرة الحكام لابن فرحون المالكي ج 2 ص 284 ط دار الفكر .

كما نطلب من الجهات التربوية التدخل الإيجابي لمحاربة هذه الظاهرة التي لا تسلم منها كذلك مؤسساتنا التعليمية و التربوية بمختلف أطوارها و أنواعها ، فعلى جميع الساهرين على هذا القطاع النهوض بسلوكيات الطلاب و التلاميذ و المنخرطين .. لأنهم هم الصانعون للمستوى الاجتماعي للأمة و ترقيته .

كما نهيب برجال الأمن الغائبين عن الميدان ، حيث لا نجد لهم أثرا على أرض الواقع ، نهيب بهم للتحرك تجاه هذا الفعل المشين ، فعلى المسؤولين على هذا القطاع الاستراتيجي أن يتدخلوا لمكافحة الجرائم الواقعة خاصة على الآداب العامة و على رأسها موضوع مقالتنا .

و لا ننسى دَور وسائل الإعلام في هذه الحملة ، فإننا ننشادهم بتسليط الضوء الإعلامي السمعي و البصري و المكتوب و القيام بمجهودات توعوية و تحسيسية لمعالجة هذه الظاهرة ..

و أمَّا فارسوا المنابر ، أئمة المساجد ، فلهم دور فعَّال في القضاء على هذه الظاهرة و ذلك بتخصيص دروس و خطب و محاضرات و دورات علمية تعالج قضيتنا المنشودة .

ـــ حتى تكون لنا عقيدة سليمة و قوية لا بد أن يكون فينا الأقوياء الذين يدافعون عنها بل و لابد أن نكون جميعا أقوياء لندافع عن مقدساتنا لضمان صيانتها من أعدائها بالداخل قبل الخارج .

و إلا فإن الله عز وجل سيتبرأ منا و يستغني عنا و يستخلف غيرنا ممن يحبهم و يحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين .. يغضبون لما لا يرض الله و يحرصون على ما يرضيه . ينصرون الله و رسوله و المؤمنين و لو كره الكافرون .

الرجاء نشرها على أوسع نطاق ..

عسى أن يصل صوتنا إلى الآفاق ..